

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَمِنْ آيَاتِهِ

العدول في الأفعال و فوائده

محمد ابراهيم عبد السلام ☆

الحمد لله الذى شرفنى بأن أكون طالباً لهذه اللغة الشريفة و كرمنى بحبها لأنها لسان وحى الله تعالى ولسان نبيه الكريم ، وأصلى و أسلم على أسمى الخلق منطقاً و أفصحهم كلاماً و رضى الله تعالى عن آله وأصحابه أجمعين و بعد : فأود هنا أن أقدم بين يدي القراء منهج البحث فى هذه الدراسة لبعض الأسرار و الفوائد التى تضمنتها هذه الظاهرة فأقول :

ورد العدول لغرض التوكيد و التوسع ، و المجاز ، و المشابهة ، و التقارض ، و الإشتراك و البلاغة و تبين هنية الفعل و استحضار صورته ، و لإفادة تحقق و قوع الفعل ، و لإثبات اليقين و للتعظيم و تفخيم البيان .

المبحث الأول : عدولات الماضى :

العدول عن الماضى إلى المضارع : عدلت العرب عن الماضى إلى المضارع لعرض بلاغى : قال ابن القيم الجوزية : "قصرت العرب بالإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الإخبار بالفعل المضارع إذأتى به فى حالة الإخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضى و ذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيه و يستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى " وقال ايضا : "الفعل المضارع إذا أخبر به عن

☆ محاضر اللغة العربية، الجامعة الاسلامية العالمية، اسلام آباد

الماضي فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهد ها (١) ومن ذلك قوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (البقرة ١٠٢) "تتلوا" هو مضارع في معنى الماضي أى ما تلت أو ما تلته الشياطين على ملك سليمان.

ومنه قوله تعالى ﴿ففريقاً كذبتهم و فريقاً تقتلون﴾ (البقرة ٨٧) ومعناه : و فريقاً قتلتم : أتى بفعل القتل مضارعاً ، لأن التعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي وذلك لسببين : لأن الأمر فطبيع فأريد استحضاره فى النفوس و تصويره فى القلوب . و قيل : يجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية . (٢) ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير﴾ (الحج ٦٣)

فعدل عن لفظ الماضي ها هنا إلى المضارع فقال ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ و ذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان . و قيل : عدل عن الماضي إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرارها فى النفس (٣)

كما قيل فى قوله تعالى ﴿ولو ترى إذا المسجرمون ناكسوا رؤوسهم﴾ (السجدة ١٢)

وقوله تعالى ﴿ولو ترى إذا فزعوا فلا فوت﴾ (سبا ٥١)

أراد: "ناكسوا" و "فزعوا" و جاء فى القرآن الكريم فى صيغة الماضي مع حدوثه فى المستقبل فى الآيتين و إنما جاز ذلك لأن ما كان فى القرآن من وعد و وعيد و ما فيه فهو حق كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان، لما كان المستقبل فى إخبار الله تعالى لتحقيق وقوعه كأنه ماضٍ و هو منتظر لصدقه فى المعنى وإنه لا مكذب له (٤)

و مثله قوله تعالى ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ (الصفحات: ١٠٢) معناه إني رأيت في المنام أني أذبحك أو تكون حكاية حال ماضية. ومثله قول الشاعر:

و انضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون اخدام ذبائح
فوضع يكون في موضع كان
ومنه أيضاً قول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبير
و حسن فعل كما يجزى سنمار
اراد كما جزى سنمار، موضع المستقبل موضع الماضي
و مثله أيضاً قول الشاعر:

و لقد أمر على اللينم يسنى
فمضيت ثمت قلت لا يعينى
قيل: إن "أمر" قد وضع موضع مررت. (٥)
المبحث الثاني: عدولات المضارع

١- العدول عن المضارع إلى الماضي: أحيانا يخبر بالماضي عن المضارع و ذلك لفرض بلاغى، كما قال ابن القيم: "الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذى لم يوجد بعد كان أبلغ وأكد و أعظم موقعا و أفخم بيانا لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان و جد و صار من الأمور المقطوعة بكونها و حدوثها"

وقال أيضاً "الفعل الماضي يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد و الأمور المتعاطمة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان و وجد و وقع الفراغ من كونه و حدوثه". (٦)

و ذلك فى قوله تعالى ﴿و يوم ينفخ فى الصور ففرع من فى السموات

ومن في الأرض ﴿النمل ٨٧﴾ أراد "ففرغ" بلفظ الماضي بعد قوله تعالى "ينفخ" وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزغ و ثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به . وقيل : و عبر هنا بالماضي وإن لم يقع إشعاراً بصحة وقوعه وأنه كائن لا محالة ولهذه الفائدة وضع الماضي موضع المستقبل (٧)

و من هذا قوله تعالى ﴿و برزوا لله جميعاً﴾ (إبراهيم ٢١) "فبرزوا" بمعنى يبرزون يوم القيامة وإنما جيئ به بلفظ الماضي لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته فإنه قد كان ووجد . وقيل : ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحق . فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود. (٨)

و مثل ذلك قوله تعالى ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ (النحل ١) "فأتى" ها هنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا يبد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى . وهو بمنزلة أتى الواقع وإن كان منتظراً يقرب وقوعه . وقيل عَبَّرَ بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحقيقه وفي ذلك وعيد للكفار (٩).

و مثله قوله تعالى ﴿و نادى اصحاب الجنة أصحاب النار﴾ (الأعراف ٤٤) عبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه . وقيل : لأن ما أخبر الله به كائن فجزى المستقبل مجرى الماضي الذي تحقق وجوده وكذلك يجعل المستقبل الذي لا بد عن كونه بلفظ الماضي دلالة على التحقيق ، كما هو معروف بالشرط وجزائه أن يكون بالمستقبل . قال ابن القيم : المشهور أن الشرط والجزاء لا يتعلقان إلا بالمستقبل فإن كان ماضى اللفظ كان مستقبل المعنى

كقولك "ان مت على الإسلام دخلت الجنة" والأصل إن تمت مسلماً تدخل الجنة فغير لفظ المضارع إلى الماضي تنزيلاً له منزلة المحقق (١٠).
 ومثله قوله تعالى في جواب الشرط ﴿وَلئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده لكفرون﴾ (الروم ٥١) قيل: معناه: ليظن. وقيل: حسن وقوع الماضي في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون إلا بالمستقبل. وقيل: هو ما ضى من حيث اللفظ مستقبل من حيث المعنى لأن الشرط قيد فيه وهي في معنى ليفعلن (١١).

قوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس﴾ (المائدة ١١٦). فقيل: المعنى قال الله هذا الكلام في ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ (المائدة ١١٩) وحقيقته: يقول الله: وكذلك معنى إذ قال الله إذ يقول الله: وإنما حسن ايقاع الماضي في موضع الآتى لأن الأمر القيامة لظهور براهنية وصدق المنخبر به بمنزلة ما وقع ومنه قول الشاعر:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه
 أن الوليد أحق بالعدر

اراد: يشهد. وقول الشاعر:

ثم جزاه الله منا إذ جرى
 جنات عدن في العلا لى العلى

قيل: وضع إذ جرى موضع إذ يجرى. ومنه قول الشاعر:

وإني لآتيلم تشكر ما مضى
 من الأمر والاستيحاب ما كان في غد

أراد ما يكون. والأمثلة كثيرة في هذا المجال (١٢).

٢. العدول عن المضارع إلى الأمر:

مثال ذلك في قوله تعالى ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن

مدا﴾ (مريم ٧٥) وتقديره: قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مداً أو مدله

الرحمن مداً "قيل : توكيذا للخير لأن الأمر باللام يجاب فيشبه الخبر به في إيجابه"
ومثله قوله تعالى :

﴿ اتبعوا سبلنا و لنحمل خطاياكم ﴾ (العنكبوت ١٢) تقديره : اتبعوا

سبلنا و نحمل خطاياكم .

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : (إذ ألم تستح فاصنع ما شئت)

قيل : فإن هذا صورته صورة الأمر و معناه معنى الخبر المحض أى من كان لا يستحى فإنه يصنع ما يشتهى و لكنه صرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة و هى أن العبد له من حياته أمر يأمر بالحسن و زاجر يجره عن التبيح و من لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر . (١٣)

عدولات الأمر

العدول عن الأمر إلى المضارع : ذلك فى قوله تعالى ﴿ تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ﴾ (الصف ١١) قيل : فى تؤمنون ، هو خبر فى معنى الأمر .

و قيل : معناه ﴿ آمنوا بالله و رسوله وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ﴾ ولذلك أوجب بالجزم فى قوله تعالى ﴿ يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات ﴾ (الصف ١٢) قيل : للإيدان الامتثال و كأنها امتثل فهو يخبر عن إيمان و جهاد موجودين .

و نظيره قول الداعى : و يغفر الله لك . فجعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت و وجدت . و مثله قول الشاعر على إضمار لام الأمر :

محمد فقد نفسك كل نفسٍ إذ ما خفت من أمر تبالا

قيل : أراد : لتفد نفسك فحذف اللام . و مثله قول الشاعر :
 قلت لبواب على بابها تأذن لى إني من أحمانها
 يريد ، لتأذن . (١٤)

و مثله أيضا قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين
 كاملين﴾ (البقرة ٢٣٣)

وقيل : يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب
 لبعضهن . وقيل : هو خبر عن المشروعية . وقيل : هذا الكلام وإن كان فى اللفظ
 خبراً إلا أنه فى المعنى أمر . وقيل : أن يكون معنى يرضعن ليرضعن إلا أنه حذف
 اللام لتعرف فى الكلام مع زوال الإبهام . (١٥) و مثله قوله تعالى ﴿والذين يتوفون
 منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشراً﴾ والمطلقات
 يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴿ (البقرة ٢٣٤، ٢٣٨) قيل معناه : يتربصن : وقيل : هذه
 الآية فيها معنى الأمر (١٦)

العدول عن الأمر إلى الماضى

ذلك فى قوله عمر رضى الله عنه "إذا وسع الله عليكم فأوسعوا" صلى
 رجل فى إزار و رداء ، فى إزار و قميص ، فى إزار و قباء .

قيل : ورد الفعل الماضى بمعنى الأمر و هو صلى و المعنى ليصل رجل
 و مثله من كلام العرب : أتقى الله امرؤ و فعل خيراً يثيب عليه . و المعنى ليتق و
 ليفعل .

ولكونه بمعنى الأمر جىء بعده بجواب مجزوم كما يجاء بعد الأمر
 الصريح و أكثر مجىء الماضى بمعنى الطلب فى الدعاء .
 نصر الله من والاك و خذل من عاداك .

ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(تصدق امرؤ من ديناره من درهمه من صاع بره من صاع تمره) (١٧)

الهوامش

- ١- كتاب الفوائد المشوق لابن القيم الجوزي، ٣٢/٣٣
- ٢- نفس المرجع، ص ٣٣؛ البحر المحيط، ٣٠١، ١؛ الإشارة، ٣٨؛ الفخر الرازي، ١٧٨٣؛ الكشاف وحاشيته، ٢٩٥١
- ٣- حاشية الكشاف، ٢٥١؛ الكشاف، ٢١٣؛ الفخر الرازي، ٢٣، ٦٢؛ البحر المحيط، ٣٦٥٦
- ٤- الهادي في الإعراب إلى طرق الصواب لابن القبيعي، ١٠٦؛ البحر المحيط، ٤٤٤٥؛ الطبري، ٣٠٢، ١٤؛ القرطبي، ٢١٠
- ٥- الإشارة، ٣٩-٢٧؛ الأمالي الشجرية، ٤٥١، ٤٥٢، ٣٠٤، ١٠٢؛ الخزانة، ١٢، ٣٢٣، الكتاب، ٢٤٣؛ الخصائص، ٣، ٣٣١، ٣٣٠
- ٦- الفوائد المشوق، ٣٢-٣٣
- ٧- الفوائد المشوق، ٣٢؛ الفخر، ٢٤، ٢٢٠؛ الكشاف، ١٦١، ٣؛ البحر، ٩٩٧
- معاني القرآن للفراء، ٣٠٠-٣٠١
- ٨- الفوائد المشوق، ٣٢؛ الكشاف، ٣٧٢، ٢؛ الفخر، ١٩، ١٠٧
- القرطبي، ٣٥٥، ٩؛ البحر، ٤١٦٥
- ٩- الفوائد المشوق، ٣٢؛ الكشاف، ٣٧٢، ٢؛ والفخر، ١٩، ١٠٧
- القرطبي، ٣٥٥، ٩؛ البحر، ٤٧٢٥؛ الإشارة، ٣٨
- ١٠- البحر، ٣٠٠؛ والهادي في الإعراب، ١٠٦، ١٠٧؛ الإشارة، ٣٨؛ بدائع الفوائد لابن القيم، ٤٤٦-٤٥
- ١١- الفوائد المشوق، ٣٣؛ الكشاف، ٢٢٦، ٣؛ الجامع، ١٤، ٤٥؛ البحر، ٧، ١٨٠، ٤٣٠؛ الإشارة، ٣٨؛ الكتاب، ١٠٨، ٣؛ مشكل إعراب القرآن، ٢، ١٨٠

- سر الصناعة ٣٩٨ ؛ الهادى فى إعراب القرآن، ١١٠.
- ١٢- الأمالى الشجرية، ١، ٢، ٤٥، ١٠٢، ٢٠٤ ؛ سر الصناعة، ١، ٣٩٨ ؛ الهادى فى الإعراب، ١٠٧.
- ١٣- الفوائد المشوق، ٣٤ ؛ الإشارة، ٤٠، ٤٠ ؛ الأمالى الشجرية، ١، ٢٧٠ ؛ بدائع الصنائع، ١٤٤.
- ١٤- الفوائد المشوق، ٣٤ ؛ الكشف، ٤، ١٠٠ ؛ البحر، ٨، ٢٦٣ ؛ القرطبي، ١٨، ٨٧، ٨٨ ؛ سر الصناعة، ١، ٣٩١ ؛ الإشارة، ٣٩، ٣٩ ؛ الأمالى النحوية، ٩٤.
- ١٥- الفوائد المشوق، ٣٤ ؛ القرطبي، ٣، ١٦١ ؛ الكشف، ١، ٣٦٩ ؛ الفجر، ٦، ١١٧، البحر ٢، ٢١١-٢١٢ ؛ بدائع الفوائد، ١٠٤ ؛ الإشارة، ٣٩ ؛ الأمالى الشجرية، ١، ٢٥٨.
- ١٦- الفوائد المشوق، ٣٤ ؛ البحر، ٢، ٢٢٢ ؛ القرطبي، ٣، ١٧٤ ؛ الإشارة، ٣٩، الأمالى الشجرية، ١، ٢٥٧-٢٧٠.
- ١٧- شواهد التوضيح لابن مالك، ٦٢-٦٣.

المصادر

- ١- أسرار العربية لابن الأنبارى، تحقيق محمد بهجة، دمشق.
- ٢- الإشارة لغز الدين عبد السلام.
- ٣- الأشباه و النظائر فى النحو للسيوطى ط / (الهند، بيروت).
- ٤- الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د/ عبد السلام الفتلى ط / بيروت.
- ٥- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق د/ زهير غازى، بغداد، ١٩٧٧ م.
- ٦- الأمالى الشجرية ط / حيدرآباد دكن، ١٣٤٩ هـ.
- ٧- الأمالى النحوية لابن الحاجب، تحقيق هادى حسن ط / ١، ١٩٨٥ م.
- ٨- البحر المحيط لأبى حبان، دار الفكر والعادة ط / ١، ١٣٢٨ هـ.

